25 يناير 2012م

قلق.. خوف.. وأمل

هشام علي

●.. كانت الرحلة إلى القاهرة مختلفة تماما في هذا العام ليس لأنها المرة الأولى التي أذهب فيها إلى القاهرة بعد ثورة الربيع العربي. كذلك لم يكن للملاحة الشاقة التي واجهتها طائرة الإيرباص اليمنية في رحلتها من صنعاء إلى القاهرة بعد تأجيل متكرر وانتظار طويل في المطار وبعد رحلة طويلة نسبيا تجاوزت ثلاث ساعات.

لا أدري هل هي بسبب الرياح القوية المعاكسة لاتجاه الطيران كما قال قائد الطائرة أم بسبب ما تنوء به حمولة خطوط الطيران من مشكلات إدارية وفساد وازمة وقود أثقلت على جناحي الطائرة وجعلتها تطير على ذلك النحو المتثاقل والبطيء.

ربما كان القلق من السفر إلى مصر هو سبب هذا الشعور بالاختلاف إذ طالما كانت الرحلة إلى مصر تمتلئ باللهفة والشوق والحنين فأنا أحرص دائما على الشرب من ماء النيل. رغم كل التحذيرات والمخاوف من التلوث – من يشرب ماء النيل يرجع إليه ثانية – هكذا يقول المثل المصري ولهذا أترك المياه المعدنية مفضلاً ماء النيل.

هذا الاختيار يحمل حباً لمصر. يقول المؤرخ اليوناني هيرودوت: مصر هبة النيل. لم يقل هذا اليوناني الذي تكلم في فجر التاريخ الإنساني أن أوغندا أو أثيوبيا مثلا هما هبة النيل. لم يكن آنذاك ثمة ذكر لبلدان أخرى على حوض وادي النيل هكذا بدت العلاقة بين الجغرافيا والتاريخ ذات حين من الدهر المصريون الفراعنة يملأون الأرض من منابع النيل حتى مصبه في البحر آلهتهم ومعابدهم تتوزع وتنتشر على طول النهر وعرضه أبو سنبل الكرنك بحيرة الآلهة وادي الملوك وغيرها من الآثار والمعالم التي كتبت التاريخ وعبرت عن شخصية مصر على ضفاف النهر الخالد طوال آلاف السنين.

أنتابني قلق افتراضي كما يقال ماذا لو وصلت إلى مصر ولم أجد نهر النيل كان من أهم الأخبار التي سبقت عام الثورة تلك الأخبار المروعة القادمة من دول حوض النيل.

كانت تلك الدول تتقاسم مياه النيل وكان مندوبوها يتحدثون عن حقهم في إقامة السدود والحدود في طريق النهر فلا يصل منه في نهاية المسار سوى بعض السواقي الصغيرة التي لا تروي أرضا ولا تستطيع أن تهز تروس السد العالي ومحركاته، التي تولد الكهرباء وتنظم اندفاع الماء في بحيرة ناصر. السد العالي مثال عظيم آخر على الشخصية المصرية وعبقرية المكان السد العالي ليس حاجزا للماء وحسب ولكنه حاجز للتاريخ أو مكان لتحوله من مسار إلى آخر بين ماءين انحبس تاريخ الاستعمار وانطلق تاريخ التحرر الوطني. كان ذلك في زمن الزعيم المصري جمال عبدالناصر الذي أعلن تأميم قناة السويس وهو أول قرار تاريخي من هذا النوع يعلن بداية عصر جديد في تاريخ العالم وعصر التحرر من الاستعمار وفي الوقت نفسه كان عبدالناصر يقوم ببناء السد العالي في أسوان. مصر بدون النيل هل يعقل؟ هذا كان خطاب دفاع النظام المصري المخلوع متهافتا وضعيفا لقد ظهرت مصر في الدرك الأسفل من لحظات العجز حين وقفت متلعثمة وهي تدافع عن حقها في النيل. الحق يحتاج إلى القوة كما يقال.

ليس قوة السلاح بل قوة الفكر والمنطق قوة الحضور التاريخي والمشاركة في شئون القارة الأفريقية التي كان النظام المصري قد عزل نفسه عنها منذ محاولة اغتيال رئيسه في أديس أبابا.

هل خرجنا من موضوع الثورة والربيع العربي الذي يتحرك على كوبري قصر النيل ويتجه إلى ميدان التحرير؟.. هذا النهر البشري الهادر يسير بموازاة النيل لا يقف على الكورنيش متأملا النهر بل يرفع رايات مصر وأعلام الحرية والثورة ليعلن حضورا جديدا لمصر وتدخل مصر التاريخ بعد أن شهدت سلاسل متلاحقة من الخروج بسبب النظام الحاكم. خرجت مصر من استضافة كأس العالم قبل عدة سنوات وأخذ ملفها للمنافسة الدرجة الصفر، إذ لا يوجد شيء في بنيتها التحتية لاستضافة شباب العالم في هذا المهرجان الكروي الذي فازت باستضافته دولة جنوب أفريقيا التي لم تنقض على ولادتها سوى سنوات قليلة. خرجت مصر كذلك من منافسة اليونسكو لأن مرشحها لمنصب المدير العام كان يحمل في جنباته الثقافية مساوئ النظام الحاكم من الاستبداد السياسي والقمع الثقافي وغياب حرية الفكر والتعبير وغيرها..

خرجت مصر من قيادة الأمة العربية في كل المجالات بعد أن كانت تملأ الأرض العربية بالثورة وتعمرها بالفكر والإبداع.

خرجت مصر من ساحة الصراع العربي الإسرائيلي لتنكفئ على أرضها وحدودها بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد. والأمثلة كثيرة على الخروج، ولكن هل كان الحديث عن النيل خارج النص، أو خارج الثورة على الاستبداد والفساد والظلم.

إن الكلام على النيل هو في جوهره كلام في التاريخ والسياسة، في طبيعة المجتمعات المائية والاستبداد الشرقي اللذين تحدث عنهما كارل نيتنو غل في القرن الثامن عشر، حين درس مجتمعات مصر والعراق وفارس والهند، وقد أخذ عنه كارل ماركس وطوره في كتاباته عن نمط الإنتاج الآسيوي، المفهوم البديل للطيقة الاجتماعية في التاريخ الأوروبي، في هذا المفهوم تبدو الدولة الحاكمة المستبدة هي المحرك لتاريخ هذه المجتمعات، نحن إذاً أمام دولة مستبدة حاكمة في مصر، تستمد قوتها من طبيعة المجتمع المائي الذي يشكله النيل، وتتحكم في مصائر البشر الذين يعيشون على ضفافه، هكذا شرعت الدولة للاستبداد والفساد والمركزية المفرطة في الحكم، ودفعت إلى الهامش مختلف قوى الشعب والمعارضة والنخب الثقافية.

خرع الشباب المصري إلى الشارع في مطلع العام الماضي، بدأوا ثورة كبرى زلزلت الأرض، كان الوقت خريفاً أو شتاء بارداً، لكن ما لبثت أزهار الربيع، تطلع وتنشر أريج الثورة بدأ مناخ جديد يسود الحياة والسياسة، أنه مناخ الحرية، لقد سقط رمز الاستبداد الشرقي، سقط الفرعون الأخير وانتصرت ثورة الشباب في الخامس والعشرين من يناير.

وصلت إلى القاهرة بعد عام من الثورة، في ليلة 25 يناير2012 م، كانت جلسة مجلس الشعب التي امتدت أثنتي عشرة ساعة في ختامها، حدثني سائق السيارة عن هذه الجلسة التي أستمرت من الصباح إلى المساء، إنها المرة الأولى التي نشهد جلسة بهذا الطول، إنها المرة الأولى التي تدخل فيها جماعة سياسية جديدة إلى قبة مجلس الشعب. ليس مهماً أن يكون غالبية الأعضاء قد أحفوا شواربهم وأطلقوا لحاهم، المهم أننا نسمع خطاباً سياسياً جديداً، حديثاً عن الديمقراطية والتعددية والحرية، هل هو طمأنة للناس وأذان بولادة جديدة مختلفة لجماعة انتظرت هذا اليوم لأكثر من نصف قرن من الزمان؟

كان المناخ العام لذلك المساء يسوده القلق المحتمل بالخوف من الآتي في صبيحة اليوم التالي، يوم الثورة التي لم تنجز أهدافها بعد، فالثوار لم يغادروا ميدان التحرير، والدعوة إلى التغيير لأزالت تطال الكثيرين، من فلول النظام الفاسد إلى حكم العسكر ومجلس الوزراء وكل رموز السلطة.

كانت الشوارع في تلك الليلة مثيرة للرعب، ليس ثمة عسكر ولا رجال أمن ولا ضباط شرطة أو رجال مرور.

ماذا حل بمصر لتترك هكذا دون ضبط أو ربط.

رحم الله ذلك المغني الحضرمي الذي قال »يا رعى الله ليالي وأيام مرّت ولا شي حكومة إن«.

إلا أن الأمر يختلف في هذه الليلة القاهرية، غياب الشرطة واختفاؤهم يقلق الجميع بدلاً من أن يشيع الفرح. لماذا الخوف من الحرية؟

للحديث بقية عن الخامس والعشرين من يناير، عن معرض الكتاب الذي رفع شعار »الكتاب حامل الثورات العربية«.

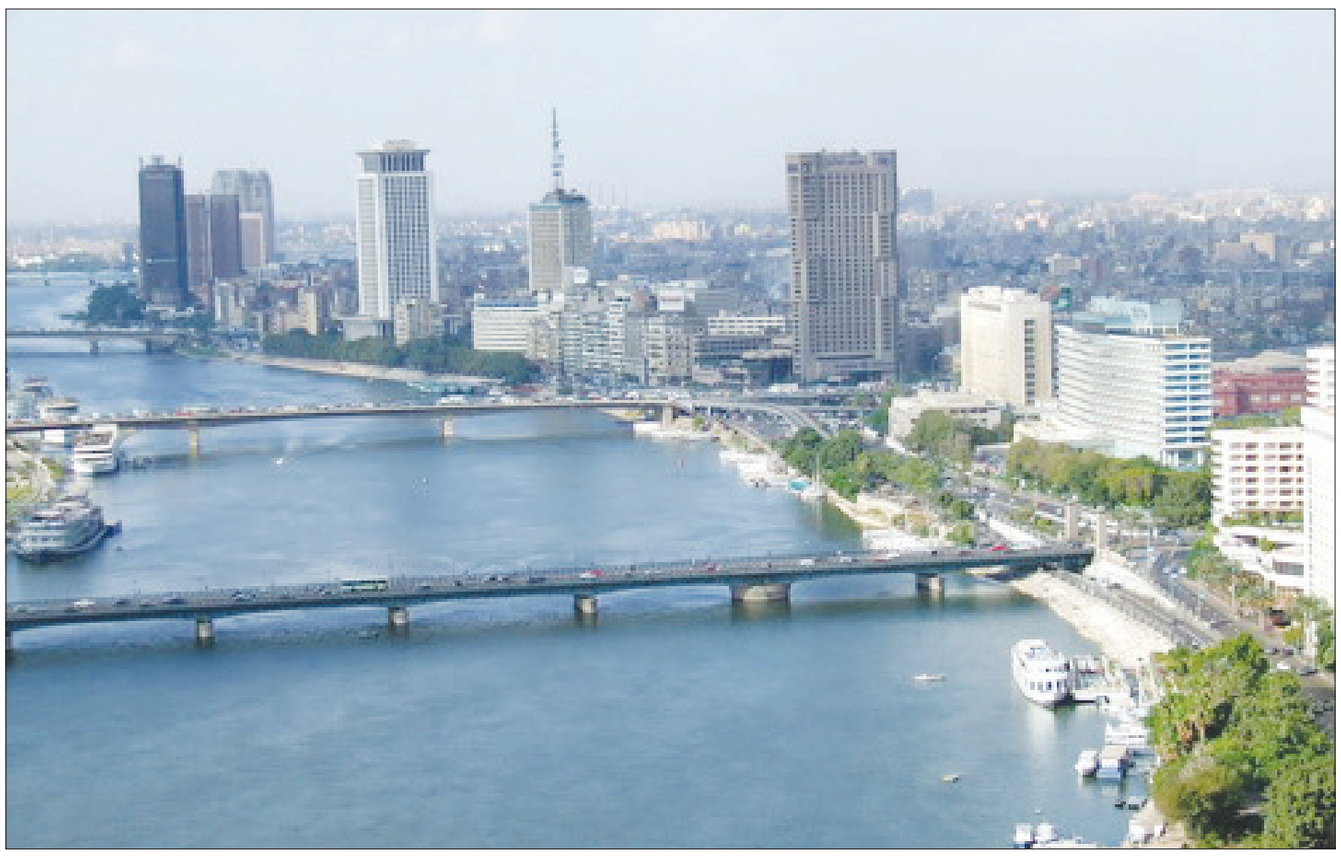

نصوص

(1)
حسناً، لم يعد لي فيك
إلا شفتان هاربتان
من التجنيد الإجباري..

لذلك أعتذر بشدة
عن مواصلة تماريني الليلية..
لا طاقة لي على مواصلة
نشاطي الحزبي والبدني..

كرهتُ السياسة والساسة،
ومللتُ من شعارات أوغاد الأحزاب..
سلّمتُ جميع سلطاتي للخيال
وسرّحتُ اللغة من الخدمة
في مرافق الدولة..

لا حاجة بي للقصيدة،
فلينصرف الشعر من دون شروط،
ولتستسلم لي شفتاكِ
دون مقاومة!

(2)
الشعر امرأةٌ
كل عابرٍ
يدّعي أنّه صافحها بحرارة..

(3)
الشعرِ باطلٌ
وعاطلٌ عن الأمل..
الشعر تفّاحة معطوبة
بفيروس الإنترنت
لم يعد يسير
على قدمين منٍ حلم..
الشعر بضاعة راكدة
في ظل أزمة العواطف العالمية..

(4)
كل يوم أكتشف
انك صانعة ماهرة للنزوات
وأنك متخمة بالمؤامرات الجميلة
وأنك من يقهر الليل
بآهات طليقة السراح
دون أن تمر
من باب الممنوعات
..
وماان تذهبين
حتى يبدأ الليل ممارسة مهامه
في سرقة ماء آباري
في وضح اللهفة

Kood500@Hotmail.com

إصدارات ثقافية

تشارل ديكنز في سياق عصره

■ كتب كثيرون عن تشارل ديكنز. وقال النقاد عنه إنه مثّل عصره إلى درجة كبيرة، بحيث أصبح «رديفاً له»، وبالتالي من المهم جداً قراءته «في سياق عصره».

و«تشارل ديكنز في سياق عصره»، هو عنوان كتاب تقدمه الباحثة البريطانية والأستاذة الجامعية سالللي ليدج، حيث تحاول فيه إلقاء الضوء على العوالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفنية التي قدم ديكنز أعماله الخالدة في سياقها.

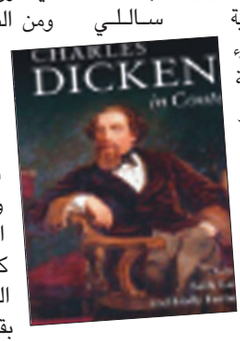

ما يتم شرحه في القسمين الرئيسيين للكتاب الذي يحمل الأول منهما عنوان: «الحياة والحياة بعد الموت». والثاني: «السياقات الاجتماعية والثقافية»، هو أن الحياة المهنية لتشارل ديكنز، تشمل مجمل أعماله كروائي وصحافي وناشر وقارئ عام. ومدافع متحمس عن الإصلاحات الاجتماعية. والمؤلفة تقدم شرحاً مفصلاً لديكنز في جميع هذه الأدوار، عبر «التنقيب» في صفاته الرئيسية. وعبر هذا كله يتم الكشف عن «وجوه مدهشة أحياناً للإنسان وعن «التنوّع الكبير» في صنعته.

وتوضح المؤلفة ان ديكنز من مواليد عام 1812، وهو الثاني من بين أسرة من ثمانية أطفال، ومن السمات الأساسية التي يتم التأكيد عليها في مسيرة حياته، هو أنه كان «نهماً» للقراءة منذ سنوات شبابه الأولى. وكان قد تحدّث في كتاباته اللاحقة عن العديد من «الذكريات القاسية» التي عاشها في طفولته. وأما كتاباته الأولى، فقد كانت أغلبيتها عبر سلسلة متتالية من الحلقات في الصحف والدوريات. وإذا كانت النسبة الغالبة من الكتّاب قد نالت شهرتها بعد نشر عمل روائي كامل، فإن ديكنز قد «كرّس شهرته» أولاً عبر الكتابة في حلقات. وخاصة أنه برع في جعل الجمهور «يتشوّق» كل مرّة، لمعرفة ما تخبئه الحلقة المقبلة.

ومن السمات التي يتم التأكيد عليها في فن كتابة تشارل ديكنز، أنه كان من هواة أدب القرن الثامن عشر، وأنه كان يعشق الأمكنة، ذلك إلى درجة أن العاصمة البريطانية لندن، أصبحت أحد «شخوص» أعماله الروائية. إن الكثير من مظاهر المدينة تجد توصيفها في مجمل تلك الأعمال.

وفي كل الحالات تميّز أسلوبه بقدر كبير من الحس الشعري. ولكن العامل الأكبر في اكتسابه شعبية كبيرة، يتم تحديده في التحليلات المقدّمة بسخريته اللاذعة، من الطبقة الارستقراطية الانجليزية التي تتمتع بقدر كبير من التملّق والتظاهر بالرفعة.

وتتم الإشارة في هذا السياق، إلى أن أسماء العديد من «شخوص» رواياته لها دلالتها على الأدوار التي تلعبها، مثل شخصية «موردستون»، في رواية دافيد كوبرفيلد، حيث تدل التسمية على التوليف بين «القتل» و«برودة الحجر». وعلى خلفية «التوليف» نفسها، يتم وصف الأسلوب الأدبي لتشارلز ديكنز، بأنه خليط من «الخيال الجامح– الفانتازيا» و«حس الواقع».

وتظهر إحدى ملامح «انسجام» ديكنز مع «سباق العصر»، الذي يعيش فيه في التشابه الكبير بين شخوص رواياته والبشر الذين يعيشون في الواقع، حيث كان من السهل على القارئ أن يجد نفسه في هذه الشخصية أو تلك. وحتى المواصفات البدنية تتشابه بين النموذجين: «الروائي» و«الواقعي». ذلك ما كان قد عبّر عنه أحد أصدقائه «جون فورستر» بالقول إن ديكنز يهب الحيوية لأشخاص حقيقيين، ليس عبر وصفهم، ولكن عبر تركهم يقومون بتوصيف أنفسهم».

و«تتجاوز» أعمال ديكنز سياق عصره، من خلال البعد الاجتماعي الذي تحتوي عليه رواياته. وهي تحتوي على كم كبير من النقد اللاذع للفقر «مصدر الألم الحقيقي للكثير منَ البشَر». وكذلك النقد لـ«التراتب الاجتماعي» الهرمي خلال الحقبة الفكتورية– حكم الملكة فكتوريا–. ومثل ذلك النقد برز بوضوح في رواية ديكنز التي تحمل عنوان: «اوليفر تويست»، بما احتوت عليه من صور الفقر والجريمة. وكأن الأمر كان يتعلق بتوصيف الأحياء القصديرية المحيطة بلندن آنذاك.

الكتاب: تشارل ديكنز في سياق عصره – تأليف: سالي ليدجر – الناشر: جامعة كمبردج– 2011 – الصفحات: 416 صفحة – القطع: المتوسط.

شهادات وقصائد لشعراء العامية في مصر

القاهرة : استقبلت مجلة ‹الشعر› الفصلية التي تصدر عن اتحاد الإذاعة والتليفزيون العام الجديد بعدد خاص عن شعراء العامية في مصر، فضلا عن ديوان الشاعر الكبير سيد حجاب ‹من ديوان الأغاني›، وهو الديوان الأول الذي تصدره مجلة ‹الشعر› كهدية مع العدد الجديد .

وتقرأ في هذا العدد الخاص : فارس خضر رئيس التحرير يكتب :›عواف عليكي يا نخلة مضللة ع الباب ‹ .كما تنشر المجلة شهادات وقصائد لخمسين شاعرا حيث نقرأ:

ليس شجرة لكنه حديقة لمسعود شومان، ومراوغة الصفصاف لإبراهيم خطاب، ويا!!!!! شعر لمصطفى الجارحي، ونحن وشعر العامية لأشرف عتريس، وأنا باوزن عند صلاح جاهين لمحمود الحلواني، ويسقط الرئيس القادم لمدحت منير، وعن قصيدة النثر العامية لحاتم مرعي، وورطة الكتابة عن الذات لجمال حراجي، وعن.. ما أحب! لسعيد عبد المقصود، والشعر حنين.. يسكن الذاكرة!! لسمير سعدي، وماذا تفعل الشاعرية؟ لماهر مهران، ووحيدًا يغني لخالد محمود، والخروج من جاذبية الإبداع لسعدني السلاموني، ومن باب المخاطبة لأسامة البنا، وأراهن على الفكرة لأمينة عبد الله، وكلمة موجزة بالفصحى في مقامنا العامي لعبد الرحيم طايع، وحلم.. أنا أعرفني لمحمد عزيز، والشعر كمحاولة للحياة لوليد طلعت، وقصيدة بنبض الشارع لعبده الزراع، وحبة حروف بقوا طوق نجاة لمحمد حسني إبراهيم، وفلينزو الأفضل والأشعر لعبد الناصر علام، وماذا يكتب الشاعر عن نفسه؟ لسمير الأمير، وما تيسر مني لجمال عدوي، والملاذ لرمضان عبد العليم، والخروج المبكر من عباءة الموروث لحسونة فتحي، والعودة للشارع لمصباح المهدي، ومساحة دفا لأمل عامر، وأنا والشعر وسنوات الغياب لوحيد وصفي، ومع أجمل بنت في العالم لصالح الغازي، ووقت مستقطع بين حزنين لعلي الشوكي، وعن ثورة 25 يناير لمحمد التمساح، والحلم بكتابة القصيدة لمأمون الحجاجي، وفي مدح المثالية لحمدي خلف، وحياة كاملة لمصطفى جوهر، وتجربتي مع العامية لأسامة الخياط، ومفتاح الباب المحرّم لعبد الرحيم يوسف، وقيثارة الروح وحافزها لمنال الصناديقي، وبين الشعر والبحر لعلي حمدان، وجوهر الأشياء لطارق فراج، وخرافات واحد نايم محتاج حد يصحيه لمجدي عطية، وفي جزيرة شندويل.. لأشرف عبد الحي، والطين والرمل وأحلام الليل لحازم المرسي، والدرب الحقيقي لمحمد ربيع، وبين مجابهة الحاضر والتأريخ للمستقبل لماجد كمال أبادير، وإنها العامية يا صديقي لجاسر جمال الدين، ولغة الطين لسيدة فاروق، وإنه الشعر.. ثورتنا الدائمة لجمال فتحي، وعبور الجسر لسالم الشهباني، وحكايتي مع العامية لإيمان بلال، وفتنة العامية لمحمد دغيدي.

وفي باب ‹شدو الرباب› نقرأ مقاطع من أشعار:صلاح جاهين، حجاج الباي، بيرم التونسي، زين العابدين فؤاد، ماجد يوسف، مجدي الجابري، عبد الرحيم منصور، فؤاد قاعود، سمير عبد الباقي، صلاح الراوي، عبد الرحمن الأبنودي، فؤاد حداد، أحمد فؤاد نجم، مجدي نجيب، نجيب سرور، يسري حسان، كوثر مصطفى، محمد الغيطي، محمد العسيري.

وفي قلم الضيف يكتب أحمد المريخي عن أزمة العامية والازدواجية الثقافية.

يذكر أن هيئة تحرير مجلة الشعر مكونة من الشعراء فارس خضر رئيسا للتحرير، وعبد الناصر عيسوي مديرا للتحرير، وأحمد المريخي سكرتيرا للتحرير. والمدير الفني للمجلة الفنان والمخرج الصحافي مدحت عبد السميع والغلاف والإخراج الداخلي للفنانة هند سمير، ولوحة الغلاف إهداء من الفنان خالد سرور ، والتحرير المركزي لأشرف عويس وعمر شهريار، والتنفيذ لحسام عنتر. ويرأس مجلس الإدارة د. ثروت مكي رئيس مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون.

21 فبراير
الانتخابات الرئاسية
«يبدأ الاقتراع الساعة الثامنة صباحا ويستمر حتى الساعة السادسة مساء»
اللجنة العليا للانتخابات والاستفتاء